﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزّمر: 23]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بعد ذكرِ الأحوالِ يُنبَّه على أسبابِها

لمّا ذَكرتِ الآيةُ السّابقة تباينَ حال من شرح الله صدرَه للإسلام، ومن قسا قلبُه عن قبولِ الإيمانِ؛ أتبعه بما يدلُّ على أنَّ القرآن سببٌ لحصول النّور والشِّفاء والهداية وزيادة الاطمئنان، وأنَّ الإعراض عنه سببٌ لمزيد القسوة في القلوب[1]، فناسب ذِكرُ العلَّة الَّتي لأجلِها كان هذا التَّباين، وهو إنزالُ القرآنِ من الله تعالى، فالمؤمنون بعد أن تُشرح صدورُهم للإسلام يُقبلون على القرآنِ قراءةً وتفاعلًا، فتلين قلوبُهم إلى ذِكر الله، وأمّا الضّالّون؛ فلا هادي لهم، فهو انتقالٌ من ذِكر حال الأضدادِ، إلى ذِكْرِ سبب ذلك.

ومِن المناسبة: أنَّه تعالى لمّا ذَكرَ القاسيةَ قلوبُهم من ذِكْره؛ أتبعَه بذِكر المؤمنين الَّذين تلين قلوبُهم بذِكر الله تعالى، وبسماع الآيات البيِّنات مِنَ الذِّكر الحكيم[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡحَدِيثِ﴾: (حدث) أصلٌ يدُلُّ على كَونِ الشَّيءِ بعدَ أن لم يكُنْ، وإحداثُه: إيجادُه[3]، والحديثُ مِن هذا؛ لأنَّهُ كلامٌ يَحدُثُ منه الشَّيءُ بعد الشَّيءِ[4]، والحديث الجديد من الأشياء[5] الَّذي لم يكن،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 441.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 487.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (حدث).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيده، المُحكَم: (حدث).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (حدث).

فَحَدَث، وما يُخبر اللّهُ تعالى به يجوز أن يُسمَّى حديثًا على معنى حدوثه بالإخبار عنه، ومن هذا المعنى سُمّي القرآن حديثًا في الآية؛ لحدوث تلاوتهِ فيما بيننا، أو بمعنى الخَبَر؛ لأنَّ شأن الإخبارِ أن يكون عن أمرٍ حَدَثَ، وجَدَّ[1].

2) ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾: (شبه) أصلٌ يدُلُّ على تشابُهِ الشَّيءِ وتشاكُلِه لونًا ووصفًا[2]، والشَّبهُ: المِثْلُ والمُساوي، والجَمْعُ: أشباهٌ، تقولُ: هذا شَبَهُ هذا وشبيهُه، أيْ: مِثْلُهُ، والمُشابهةُ: المُماثلةُ، وشابَه الشَّيءُ الشَّيءَ؛ إذا ماثله في صِفاتهِ[3]، والاشتباه هو الالتباسُ والاختلاطُ، يُقالُ: اشتبه الأمرُ يَشتبه اشتباهًا، أي: التبس واختلَط، والشُّبْهَةُ: ما يُشكِلُ، ويلتبِس على النّاسِ، والجَمْعُ: شُبَهٌ وشُبُهاتٌ[4]، والمُراد بالتَّشابُهِ في الآية: التَّماثُلُ في حالةٍ مع الاختلافِ في غيرها من الأحوالِ، ومعناه: أنَّ أجزاء القرآن مُتماثلةٌ في فصاحة ألفاظها وشرفِ معانيها، فهي مُتكافئةٌ في الشَّرف والحُسْنِ[5].

3) ﴿مَّثَانِيَ﴾: (ثني) أصلٌ تكريرُ الشَّيءِ مرَّتين، أو جَعْلُه شيئين متواليين أو مُتباينين، وذلك قولك: ثَنَيْتُ الشَّيء ثَنْيًا[6]، والاثنان أصلٌ لمُتصرِّفات هذه الكلمة، ويُقالُ ذلك باعتبار العدَد، أو باعتبار التَّكرير الموجود فيه، أو باعتبارهما معًا[7]، والثِّنَى: الأمرُ يُعادُ مرَّتين، والثِّنايةُ: حَبْلٌ من شَعَرٍ أو صوفٍ، ويُحتمَلُ أنَّه سُمّيَ بذلك؛ لأنَّه يُثْنَى، أو يُمكن أن يُثْنَى، والمَثْناةُ: ما قُرِئَ من الكتاب وكُرِّرَ[8]، وكُنّيَ عن معنى التَّكرير بمادَّة التَّثنية؛ لأنَّ التَّثنيةَ أوَّلُ مراتب التَّكرير، فالقرآنُ مثانٍ؛ لأنَّه مُكرَّرُ الأغراضِ[9]، أي: تُثَنَّى، وتُكرَّر فيه الأنباءُ والأخبارُ، والقَضاءُ والأحكامُ والحُجَجُ.

4) ﴿تَقْشَعِرُّ﴾: (قشعر) أصلٌ يدُلُّ على تَغيُّرٍ في جِلْد أو غيرِه، والقُشَعْريرة منه:

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 7/ 26، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 384.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شبه).
(3) الرّاغب، المفردات: (شبه).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (شبه).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 385.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ثني).
(7) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (ثني).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ثني).
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 368.

الرِّعْدَة من فَزَعٍ ونحوه[1]، وكُلُّ شيءٍ تَغَيَّر؛ فهو مُقْشَعِرٌّ، يُقال: اقشَعَرَّتِ السَّنَةُ من شِدَّة المَحْل، والجِلْدُ من الجَرَب، والنَّباتُ إذا لم يُصِب ريًّا، والشَّعرُ؛ إذا قَفَّ[2]، والجَمع قَشاعِرُ، والقُشاعِرُ: الخَشِنُ المَسِّ[3]، وعليه يكون معنى اقشَعَرَّ: انقبض، واضطرب من الخَوفِ، كالَّذي يَحْصُلُ عند شِدَّةِ بَرْدِ الجَسَدِ ورِعْدَتِه[4].

5) ﴿تَلِينُ﴾: (لين) أصلٌ يدُلُّ على الرِّقَّةِ والسُّهولةِ واليُسْرِ، ومنه قولُك: طَريقٌ لَيِّنٌ، أي: سَهْلٌ، وضِدُّه الخُشونة، ويُستعمل ذلك في الأجسام، ثمَّ يُستعار للخَلْق وغيره من المعاني، فيُقال: فلانٌ لَيِّنٌ، وفلانٌ خَشِنٌ، وكلُّ واحدٍ منهما يُمدَح به طورًا، ويُذَمُّ به طَورًا بحسب اختلاف المواقع[5]، ويُقالُ: هو في ليانٍ من عَيْشٍ، أي: نِعْمَةٍ، وفُلانٌ مَلْيَنَةٌ، أي: لَيِّنُ الجانبِ، والجمع أليناء[6]، واللِّينُ في الآية: مُستعارٌ للقَبولِ والسُّرورِ، وهو ضِدٌّ للقساوة الَّتي في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[7]، وفيه إشارةٌ إلى إذعانهم للحقِّ وقبولِهم له بعد تأبّيهم منه، وإنكارِهم إيّاه[8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تشابهت آياتُ القرآنِ في شرفِ معانيه وقوَّةِ مبانيه

هذه الآيةُ من آياتِ مَدْحِ القرآن الكريم، وأثرِه في المؤمنين، فيقول الحقُّ سبحانه: اللهُ نزَّل القرآنَ الَّذي هو أحسَنُ الحَديثِ، كِتابًا يُشبِهُ بَعضُه بَعضًا في صِدقِ الأخبارِ، وعَدلِ الأحكامِ، وبَلاغةِ الألفاظِ، وشَرَفِ المعاني، فلا تَفاوُتَ فيه في لَفظٍ ولا مَعنًى، ويُصَدِّقُ

(1) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (قشعر).
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تاج العروس، والزّبيديّ، تاج العروس: (قشعر).
(3) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (قشعر).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 388.
(5) الرّاغب، المفردات: (لين).
(6) الجوهريّ، الصّحاح: (لين).
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 389.
(8) الرّاغب، المفردات: (لين).

بَعضُه بَعضًا، فلا اختلافَ فيه ولا تَضادَّ، تُثَنَّى، وتُردَّد قصصُه وأنباؤه وأوامرُه ونواهيه، ووعدُه ووعيده، إذا تُلِيَت منه آياتُ العذاب؛ اقشعرَّتِ الجلودُ، ووَجِلَت القلوبُ، وإذا تُلِيَت آياتُ الرَّحمةِ والوعدُ؛ لانتِ الجلود، وسكنتِ القلوبُ، واطمأنَّتِ النُّفوس، ذلك هُدى اللهِ، يَهدي به مَن يَشاءُ مِن عِبادِه، ومَن يُضْلِلْه اللهُ عنِ الحَقِّ؛ فلا أحَدَ يَهديه إليه[1]، وفي الآية الكريمةِ تَنبيهٌ على الإعجازِ الرّوحي في عدَمِ الملَلِ مِن سَماعِه، وأنَّه كُلَّما تكرَّر غَرَضٌ مِن أغراضِه؛ زادَه تكَرُّرُه قَبولًا وحلاوةً في نُفوسِ السّامِعينَ، إضافةً إلى ذلك أنَّ القُرآنَ جَمعَ بيْنَ تأثيرين متضادَّين: مَرَّةً بتأثيرِ الرَّهبةِ، ومرَّةً بتأثيرِ الرَّغبةِ؛ وذلكَ ليَكونَ المُسلِمونَ في مُعامَلةِ رَبِّهم جارينَ على ما يَقتَضيه جَلالُه، وما يَقتَضيه حِلمُه ورَحمتُه[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الاستئنافِ البيانيِّ:

الصُّدورُ المنشرحة للآياتِ المنزَّلة وأحسنِ الحديث المتشابِه

فصل النَّظمُ البليغُ قولَهُ جلَّ شأنه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ عن السّابقِ؛ لأنَّه مستأنَفٌ استئنافًا بيانيًّا، سيق للجواب عن سؤالٍ نشأ عن ذِكْر القلوب القاسية، كأنَّه قيل: ما وجهُ قسوةِ قلوبِهم؟ فبيَّنتِ الآيةُ أنَّ قساوة قلوبهم من سماع القرآن إنَّما هي لِرَينٍ في قلوبهم وعقولهم، لا لِنَقصٍ في هداية القرآن[3]؛ لأنَّ القرآنَ هو أحسنُ الحديثِ، تشابهت آياتُه، وتكرَّرت بما لا تناقض بين آحادِها، بل وفاقٌ بين معانيها ومبانيها.

غرضُ تقديمِ المسندِ إليهِ على المسندِ الفعليِّ:

قدَّم النَّظمُ الجليل المسندَ إليه، وهو اسمُ الجلالة في قوله جلَّ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 190، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 527، والمراغي، تفسير القرآن: 23/ 161.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 386، 390.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 383.

شأنه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾، دون أن يقول: (نزَّل الله)؛ تفخيمًا لمضمون الخطاب، وبيانًا لعُلوِّ رتبةِ القرآن الكريم، وتأكيدًا لنزوله من الله تعالى، وأنَّ مِثلَه لا يجوز أن يصدر إلّا عنِ الله تعالى، كما أنَّه يدلُّ على أنَّه وحيٌ معجزٌ مباينٌ لما سواه من الأحاديث[1]، فتقديمُ المسند إليه على المسند الفعليِّ يُحيل الجملةَ الفعليَّة إلى جملة اسميَّة، وهذا يدلُّ على تأكيد المعنى وثبوتِه، والمبالغةِ في الحُكم المساق فيها.

تأكيدُ مضمونِ الكلامِ وبيانُ مصدرِ الإعجاز

نُكْتَةُ إظهارِ اسم الجلالةِ:

آثرَ النَّظمُ الكريم ذِكْرَ اسمِ الجلالة دونَ الضَّمير في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾، فلم يقل: (هو نزَّل) بناءً على تقدُّم وروده في قوله جلَّ شأنه: ﴿مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾، وذلك لتفخيم شأن القرآن المنزَّل، ففخامةُ القرآنِ مستندةٌ على فخامة مَن أنزله، وهو الجليل جلَّ ذِكْره[2].

فخامةُ المُنَزَّل من عظَمة المُنَزِّل

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿نَزَّلَ﴾ دون (أنزل):

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالتَّنزيل دونَ الإنزال في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾؛ للدَّلالة على النُّزول بالتَّدريج، لما فيه من الفوائد الجمَّة، كالتَّثبيت والإجابة عن الأسئلة والشُّبهات حسبَ الحوادث[3]، وجاء التَّعبيرُ بصيغة الماضي تحقيقًا لنزوله، فهو مُنزَّلٌ بحسب الحوادث ومقتضيات الأحوالِ، وبالبلاغةِ العالية، والنَّظم البديع.

تدرُّجُ القرآنِ في التَّنزيل وبراعتُه في النُّزول

فائدةُ العدولِ عن الإضمارِ إلى الإظهار:

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالاسم الظّاهر دون الضَّمير في قوله

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 123.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 487، 488.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 488.

التَّصريحُ بالأوصافِ البديعةِ الجامعةِ للحُسْنِ والبَراعة

جلَّ شأنه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾، فلم يقل: (الله نزَّله) بناءً على اعتبارِ أنَّ ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ هو ذاتُه ذِكْر الله تعالى المذكور في الآية السّابقة: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾؛ وذلك للتَّصريحِ بهذا الوصفِ البديع الجامع للحُسْنِ، والتَّعريفِ بكونه حديثًا ليس كباقي الحديثِ، ولقصد إجراء الأوصاف الثَّلاثة الآتية عليه، وهي المذكورة في قوله جلَّ شأنه: ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾[1].

بلاغةُ التَّعبيرِ باسمِ التَّفضيلِ:

القرآنُ أحسنُ الحديث مصدرًا ومضمونًا وغايةً

عبَّر النَّظمُ الجليل عن القرآن باسم التَّفضيل في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾؛ للدَّلالة على أنَّه أفضلُ الأحاديث وأعظمُها، وذلك لجهة نزولِه مِن الله تعالى[2]، فما كان من الله تعالى فهو الأحسن، وما كان مضمونُه حقًّا؛ فهو الأحسن، وما كان لخيرِ البشرِ؛ فهو الأحسن، فاجتمع فيه حُسْنُ المصدرِ والمضمونِ والغاية.

غرضُ الإضافةِ والتَّعريف في قوله: ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾:

نزولُ القرآنِ محتويًا على الفضل كلِّه

أضاف النَّظمُ الجليل اسمَ التَّفضيل ﴿أَحۡسَنَ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا﴾ إلى ﴿ٱلۡحَدِيثِ﴾، والإضافة بمعنى (من)؛ فالنّازلُ هو الأحسنُ مِنَ الأحاديث الَّتي سمعَتْها أُذُنُ بشرٍ، ولتسويغ مجيءِ الحال منه، فقوله: ﴿كِتَٰبٗا﴾ حالٌ من ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾؛ لأنَّ إضافةَ اسمِ التَّفضيل محضةٌ، أي: الله نزَّل القرآنَ حالَ كونِه جامعًا لكلِّ الخير[3]، وتعريفُ ﴿ٱلۡحَدِيثِ﴾ بالألف واللّام في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ للجنسِ، وأفرده لذلك، فهو دالٌّ على جميع الأحاديث[4] على وجه الاستغراق.

---

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 384.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 488.

(3) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 9/ 422، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 488.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 384.

دلالة استعمال مفردةِ (كتاب)، ونُكْتَةُ تنكيرِها:

وصف النَّظمُ الجليل القرآنَ بكونه كتابًا في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾؛ وذلك للدَّلالة على أنَّه جامعٌ للخير، وأنَّه مأمور أن يُحفظ بالكتابة ليبقى حجَّةً على طول الزَّمان[1]، وجاء ذلك بصيغة التَّنكير تفخيمًا لشأنه مكتوبًا جامعًا للخير، فهو كتابٌ ليس كباقي الكتب، فإذا كان متميِّزًا بديعًا في كونه أحسنَ الأحاديث؛ فهو كذلك أحسنُ الكتب، ففيه انتقالٌ من وصف القرآن بأنَّه حديثٌ، إلى وصفه بكونًا كتابًا محفوظًا.

القرآنُ جامع للخير فهو أحسن الحديث وأوثقُ الكتبِ

بلاغةُ وصفِ القرآنِ بالتَّشابهِ:

استعمل النَّظمُ الكريم مفردةَ ﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾، وهي صفةٌ من صفات المدح، فأجزاؤه متماثلةٌ في الفصاحة والبلاغة لفظًا ومعنًى، فكلُّ آياته وألفاظه متكافئةٌ في الشَّرف والحُسْن[2]، فالتَّشابهُ هو تشابهُ النَّظم والبلاغة والفصاحة والعذوبة، وقوَّةِ السَّبكِ، وجمالِ الرَّصف، وبَراعةِ الوصف، تشابهت آياتُه وجُمَلُه وكلماتُه، وفي التَّشابه مضامينُ الجمالِ، ودواعي البهاء.

في التَّشابه أسرارُ الجمالِ ودواعي الكمال

نُكْتَةُ الوصفِ بـ ﴿مَّثَانِيَ﴾:

استعمل النَّظمُ الكريم مفردة ﴿مَّثَانِيَ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾؛ للدَّلالةِ على التَّكرير، فإنَّه تُكرَّر قراءتُه في الصَّلاة وغيرها، كما أنَّ نظمه متماثل لا يختلف بعضُه عن بعضه[3]، وهذا على جَعْلِ التَّثنية في تكرارِ القراءةِ، وإذا جعلناها بمعنى التَّقابل الدَّلاليِّ - كما هو رأي طائفة من المفسِّرين - فهو كذلك صادقٌ على معاني القرآن، فإنَّ "أكثر الأشياء المذكورة

من صفات القرآن كثرةُ تكرار تلاوته لعِظَم فوائده

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 488، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 385.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 385.
(3) القونويّ، حاشية القونويّ على البيضاويّ: 16/ 512.

وقعت زوجين زوجين، مثل: الأمر والنَّهي، والعامِّ والخاصِّ، والمجملِ والمفصَّل، وأحوالِ السَّماوات والأرض، والجنَّةِ والنّار، والظُّلمةِ والضّوء، واللَّوحِ والقَلم، والملائكةِ والشَّياطين، والعرشِ والكرسي، والوعدِ والوعيد، والرَّجاءِ والخوف، والمقصودُ منه: بيانُ أنَّ كلَّ ما سوى الحقِّ زوجٌ، ويدلُّ على أنَّ كلَّ شيء مبتلًى بضدِّه ونقيضه، وأنَّ الفردَ الأحد الحقَّ هو الله سبحانه"[1].

علَّةُ فصلِ ﴿تَقْشَعِرُّ﴾:

من صفاتِ القرآن تأثيرُه في النُّفوس

فَصلَ النَّظمُ الجليل قولَهُ جلَّ شأنه: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾؛ لأنَّه كلامٌ مستأنَف "مسوقٌ لبيانِ آثارِه الظّاهرةِ في سامعيه، بعد بيانِ أوصافِه في نفسِه، ولتقريرِ كونِه أحسنَ الحديثِ"[2].

بلاغةُ التَّعبيرِ بمفردة القُشَعْريرةِ مادَّةً وصيغةً:

إظهارُ الإعجازِ الرّوحي والأثرِ النَّفسيِّ للقرآنِ

عبَّر النَّظمُ الجليل بالفعل ﴿تَقْشَعِرُّ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾؛ للدَّلالة على انقباض الجِلْد عند سماع القرآن الكريم، وذلك لبيان خشيةِ المؤمنين مِن الله تعالى، فهُم إذا سمعوا القُرآنَ وعيدَه؛ أصابتْهم هيبةٌ وخشيةٌ تَقْشَعِرُّ منها جلودُهم[3]، وجاء استعمالُ هذه المفردةِ لبيانِ قوَّةِ أثر القرآن في قلوبِ سامعيه وتاليه، فإنَّ الأثرَ يظهر جليًّا على الجلود، ثمَّ تلين تلك الجلودُ ومعها القلوبُ إلى ذِكْرِ الله تعالى، فأظهرت هذه المفردةُ أثرَ القرآنِ الرّوحيَّ في النُّفوسِ، وهو الذي يُعرَف بالإعجاز الرّوحيِّ، وجاء التَّعبيرُ بالفعل المضارع لبيانِ أنَّ أثرَ القرآنِ في تلك الجلودِ مستمرٌّ؛ فكلَّما استجدَّت القراءةُ والسَّماعُ؛ استجدَّت القُشَعْريرةُ معها.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 446.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 251.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 251.

براعةُ استعمالِ حرفِ (مِنْ) في بيان الحذفِ:

سماعُ القرآنِ ابتداءً يكون سببًا في القشعريرة مآلًا

استعمل النَّظمُ الجليل حرفَ (مِن) في قوله جلَّ شأنه: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، وهو دالٌّ على الابتداءِ على تقديرِ محذوف، والتَّقديرُ: تقشعِرُّ من سماعه أو تلاوته جلودُ الذين يخشون ربَّهم، وما قيل بأنَّ هذا الحرف دالٌّ على التَّعليل، فإنَّهم إذا سمعوا القرآنَ وآياتِ وعيدِه؛ أصابتهم خشيةٌ تقشَعِرُّ منها جلودُهم[1]، أي: إنَّ الخشوعَ والرَّهبة وقعت بسبب سماع القرآن؛ لأنَّ سماعَهُ يؤول إلى قشعريرة الجلد.

غرضُ تقديمِ القيدِ على المسندِ إليه:

تقديمُ سببِ الخشية أهمُّ من ذِكر أثرِها

قدَّم النَّظمُ الجليل شِبهَ الجملة من الجارِّ والمجرور على الفاعل في قوله جلَّ شأنه: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، فلم يقل: (تقشعرُّ جلودُهم منه)؛ اهتمامًا ببيان سبب الخشوع والرَّهبة، فهو أهمُّ من بيان أنَّ موطن تلك الخشيةِ هو الجلود، ولتوجيه الأنظارِ إلى أنَّ مبدأ القشعريرة وسببَها هو القرآن الكريم.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالموصولِ:

امتزاجُ الباطنِ الخاشعِ بالصَّوتِ الصّادعِ يُحَصِّلُ المقصودَ النّادر

عبَّر النَّظمُ الجليل عن المؤمنين الَّذين تقشعرُّ جلودُهم بالاسم الموصول في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾؛ وذلك لإظهار العِلَّة لتلك القشعريرة، وهو ما تضمَّنته صلةُ الموصولِ، فخشيتُهم هي سببُ القشعريرة، فالخشيةُ في القلبِ الباطنِ عندما تمتزج بسماعِ القرآن من الخارج، تتهيَّأ قُشَعريرةُ الجلودِ للإدلاءِ بالإحساس النّادر، والشُّعور العزيز.

براعةُ التَّعبير بالخشية مادَّةً وصيغةً:

عبَّر النَّظمُ الجليل بلفظ الخشية في قوله جلَّ شأنه: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ خوفهم من الله تعالى

(1) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 177.

رقَّت قلوبُ العبادِ حُبًّا حتّى خَشيَتْهُ تعظيمًا

نابعٌ من تعظيمهم له، فالخشيةُ هي خوفٌ يشوبُه تعظيمٌ[1]، فَذَكر هذه الصِّفةَ تعبيرًا عن خوفهم من الجليل لمدحهم والثَّناء عليهم[2]، وعبَّر عن ذلك بصيغة الفعل المضارع؛ للدَّلالة على دوام خشيتهم، والإشارةِ بأنَّها صارت سلوكًا معتادًا لهم على طول الزَّمان.

سرُّ التَّعبيرِ بعنوانِ الرُّبوبيَّةِ:

من كمال الإيمان هيبةُ صاحبِ البِرِّ والإحسان

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ الرُّبوبيَّة في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾، ولم يقل: (الذين يخشون الله)؛ للثَّناءِ على خوفِهم، فهم يخافون المُحْسِنَ إليهم[3]، ولم يُنسِهم الإحسانُ عن إيرادِ عظيمِ الامتنان هيبةً وخشيةً من ذي العظَمة والجلال.

فائدةُ الإضافةِ:

الإيماءُ إلى تعليلِ الخشية والعبادة

أضاف النَّظمُ الجليل لفظَ الرَّبِّ إلى ضمير الغيبة في قوله جلَّ شأنه: ﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾؛ إشارةً إلى أنَّ خشية المؤمنين للمُحْسنِ إليهم هي خشيةُ الحبِّ والتَّقديس، لا خشيةُ الإكراه، والإضافةُ بمعنى اللّام، فهم يخشونه؛ لأنَّه ربُّهم الذي يُسنِدون حوائجَهم إليه، ففيه إيماءٌ إلى أنَّ توحيد الرُّبوبيَّةِ هو أصلُ الطّاعة والانقياد.

نوعُ ﴿ثُمَّ﴾ ودلالتُها:

القُشعريرةُ سابقةٌ للّينِ رتبةً وزمانًا

عطفَ النَّظمُ الجليل لينَ الجلودِ على القُشَعْريرة بحرف العطف ﴿ثُمَّ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾؛ للدَّلالة على طول مدَّة خشيتهم وتأثُّرهم بسماعِ القرآن، ويَصِحُّ أن يكون التَّراخي رُتَبيًّا، ففي البَدءِ تكون قُشَعْريرةُ الجُلودِ، ثمَّ يكون لينُ الجُلودِ والقلوب رتبةً أخرى، وهذا التَّراخي بين الرُّتبتين يُشير إلى الموازنةِ بين التَّرهيب والتَّرغيب.

(1) الرّاغب، المفردات: (خشى).
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 489.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 489.

نُكْتَةُ المضارعِ في ﴿تَلِينُ﴾:

تجدُّدُ لينِ الجُلود والقلوب إلى ذِكْر الله تعالى

جاء التَّعبيرُ بالفعل المضارع عن لين الجُلودِ والقلوب في قولهِ جلَّ شأنه: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ لينَ جلودِهم وقلوبِهم يتجدَّدُ، ويدوم[1].

بلاغةُ الاستعارةِ في لفظِ (اللّين):

الاستعارةُ التَّصريحيَّة تُصَوِّر المعنى وتُجسِّدُ الحقيقة

استعار النَّظمُ الجليل لفظَ اللّين في قوله جلَّ شأنه: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾؛ للقَبول والسُّرور، وهو مقابل للقساوة المذكورة آنفًا في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، فالمؤمنُ يقشعرُّ جِلْدُه؛ إذا سمع آياتِ الوعيد، فإذا سمع بعد ذلك آياتِ الوعدِ؛ استبشرَ، وفرح[2]، فهو تشبيهُ القبولِ باللّين على سبيل الاستعارةِ التَّصريحيَّة التَّبعيَّة، والاستعارةُ أبلغُ من الحقيقة؛ إذ فيها تجسيدُ المعنى وتصويرُ الحقيقةِ ماثلةً أمامَ السّامعِ، فيقشَعِرُّ جِلْدُه لذلك، ثمَّ يلين لقَبولِ الكلام المُبين.

فائدةُ عَطفِ القلوبِ على الجُلودِ:

اختصاصُ القُشَعْريرةِ بالجُلود، واشتراكُ اللّين في الجُلود والقلوبِ

عطف النَّظمُ الجليل القلوبَ على الجلود في قوله جلَّ شأنه: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، فجمع بين الجلود والقلوب في شأن اللّين، وكان قد ذَكر الجلودَ منفردةً في شأن الخشية في قوله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ﴾، فعطف القلوبَ على الجلود، ولم يكتفِ بذكر لينِ الجلود فحسب؛ وذلك للدَّلالة على أنَّه لينٌ ناشئٌ عن اطمئنان القلوبِ بذِكْر الله تعالى، ولأنَّ القلوب هي محلُّ الخشية، ولم تُذْكَرِ القلوبُ سابقًا؛ لأنَّ القلب لا يصِحُّ وصفُه بالقُشَعْريرة[3]، فكان العطفُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 490.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 389.
(3) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 336، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 390.

مُفضيًا لمعنى اختصاصِ القُشَعْريرة بالجُلودِ، واشتراك اللّين في القلوبِ والجُلودِ.

علَّةُ تقديمِ الجُلودِ على القلوبِ:

تقديمُ الجُلودِ باعتبارِ الأصلِ ووضوحِ الأثر

قدَّم النَّظمُ البليغ ذِكْرَ الجُلودِ على القلوب في قوله جلَّ شأنه: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنَّه وصفَ الجلودَ بالاقشعرار أوَّلًا، وهو دالٌّ على اليُبْس، وأخَّر ذِكْرَ القلوبِ تنزيهًا لها من الصَّلابة واليُبْس[1]، ولأنَّ الجُلودَ المذكورةَ أوَّلًا قدِ اعتراها ما اعتراها من القُشَعْريرة دونَ القلوب، فَذَكر الجلودَ ثانيًا؛ لأنَّ الوصفَ باللّينِ يبدأ بها، باعتبار اختلافِ حالِها المذكورِ ابتداءً، ولأنَّها هي الظّاهرة للعَيانِ، ولأنَّ الشُّعور بها أوضحُ لصاحبِها، فإنَّ الإحساس البدنيَّ أسرعُ من الإدراك القلبيِّ، وأثرُه أوضحُ، فالتَّقديمُ باعتبارِ الأصل والأثر.

بلاغةُ التَّضمين:

لـينُ الـقـلـوبِ سكونٌ وطمأنينةٌ للذِّكرِ

عدّى النَّظمُ الجليل فِعلَ اللّين بحرف الجرِّ ﴿إِلَىٰ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾؛ وذلك لتضمين الفعل دلالةَ الاطمئنان والسُّكون، فهو ثناءٌ على قلوبهم بأنَّها ساكنةٌ مطمئنَّة إلى ذِكْر الله تعالى[2].

سرُّ إظهارِ اسمِ الجلالةِ في مقامِ الإضمارِ:

الاسـم الجليلُ يخلعُ الفخامةَ على السّامعين

وضع النَّظمُ الجليل اسمَ الجلالةِ الظّاهرَ موضعَ المضمرِ في قوله جلَّ شأنه: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، فلم يقل: (إلى ذِكره)؛ تفخيمًا لشأن الذِّكر، فاسمُ الله تعالى جامعٌ لصفات الكمال والجلال[3]، فذِكْرُه يَخْلَعُ فخامةً على الكَلِم المذكورِ معه.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 490.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 41.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 491.

بلاغةُ إضافةِ الذِّكر إلى الله تعالى:

أشـرفُ الـذِّكـرِ وأعـظـمُـه ما أُضيف لله تعالى

أضاف النَّظمُ البليغ الذِّكرَ إلى الاسم الجليل في قوله جلَّ شأنه: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾؛ تشريفًا للذِّكر وتعظيمًا، وتفخيمًا له بإيراده بنسبته لذي الجلال والإكرام[1]، ولم يُسنَد إلى عنوان الرُّبوبيَّة، ذلك أنَّ الذِّكرَ هو طاعةٌ وانقيادٌ وعبادةٌ، والأنسب لذلك كلِّه هو اسم الجلالةِ.

علَّةُ فصلِ جملة الإشارة:

الأمـرُ مـفـوَّضٌ لصاحبِ الأمر

فصل النَّظمُ الجليل جملةَ: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾؛ لأنَّها مستأنَفة استئنافًا بيانيًّا، فإنَّ وصف القرآن بتلك الصِّفات الجليلة الدّالَّةِ على كماله وبلاغته، يُثير سؤالًا في نفس السّامع، فكأنَّه قال: كيف لم يتأثَّر به المُصِرّون على الكفر، وهو بتلك المكانة؟ فقيل: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ جوابًا عن هذا السُّؤال[2]، ولتفويض الأمرِ لصاحبِ الأمر.

تعيينُ مرجعِ اسمِ الإشارةِ للبعيدِ:

القرآنُ هو هدى الله الجامعُ لكلِّ خير

مرجعُ اسم الإشارة في قوله جلَّ شأنه: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ القرآنُ، أي: ذلك القرآن الذي هذه صفتُه هو هدى الله، ويحتمل أنَّه إشارة إلى الخشية واقشعرار الجُلود، أي: تلك الخشيةُ واللّين هي أمارة هدى الله[3]، وقد جاء التَّعبيرُ بصيغة البُعد؛ للدَّلالة على تعظيم الكتاب المنزَّل، أو الخشيةِ واللّين[4]، وكلاهما لهما مكانةُ العظَمة والجلالِ.

نُكْتَةُ الإضافةِ:

الـقـرآن هـدًى مباركٌ في نزولِه وآثاره

أضاف النَّظمُ الجليل لفظَ الهُدى إلى اسم الجلالة في قوله جلَّ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 491.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 391.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 528.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 491.

شأنه: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾؛ للدَّلالة على كمال هداية القرآن، والإشارةِ إلى أنَّه نزلَ من عند الله تعالى[1]، فالإضافةُ هنا تتضمَّن التَّزكيةَ والتَّشريفَ والإقرارَ بأنَّ الكتاب كافٍ بتحقيق الهداية بعد توفيق المولى تعالى.

سرُّ إظهارِ اسمِ الجلالةِ:

ذِكْرُ اسمِ الجلالة تعظيمٌ لشأن الهدى

وضع النَّظمُ الجليل اسمَ الجلالةِ الظّاهرَ موضعَ المُضمرِ في قوله جلَّ شأنه: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾، فلم يقل: (ذلك هداه)؛ وذلك لتفخيم شأنِ الهداية، فهي هدايةٌ من الله تعالى الذي لا يتمنَّع عليه شيءٌ[2]، والإضافة بمعنى (من)، أي: ذلك الهدى كائنٌ من الله تعالى، مع ما فيه من الإيجازِ اللَّفظيِّ، والتَّكثيرِ من المعاني الجليلة.

دلالةُ صيغةِ المضارعِ:

جاء التَّعبيرُ بالفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾؛ للدَّلالة على دوام هدايته لمن شاء لهم الهداية؛ تعبيرًا عنِ استمرار تفضُّله على عباده.

نوعُ الباءِ ومعناها:

اهتداء الأنام كائنٌ بهداية المَلِك العلّام

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الجرِّ (الباء) في قوله جلَّ شأنه: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾، وهي هنا دالَّةٌ على السَّببيَّة، أي: إنَّ هدايةَ النّاسِ تقع بسبب هدى الله تعالى لهم.

غرضُ تقديمِ الجارِّ والمجرور:

تقديمُ السَّببِ أهمُّ من تقديمِ النَّتيجة

قدَّم النَّظمُ الجليل شبهَ الجملةِ من الجارِّ والمجرور على المفعول به في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ للاهتمام، فإنَّ ذِكْرَ سببِ الهدايةِ أهمُّ مِن ذِكْرِ المهديِّ بالقرآنِ، وذلك لتوجيه الأنظار إلى كمالِ العناية بالقرآن.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 391.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 491.

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالموصولِ:

مشيئةُ اللهِ تعالى بالهداية عامَّةٌ لكلِّ خَلْقِهِ

عبَّر النَّظمُ الجليل بالاسم الموصول ﴿مَن﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾؛ للدَّلالة على العموم، فمَشيئةُ الله تعالى تتعلَّق بعموم عباده، ولا تنحصر بأحدٍ ما، وأتى بلفظ ﴿مَن﴾ دون (الذي) لدفع توهُّمِ مخصوصٍ معيَّن، فالهدايةُ تَعُمُّ كلَّ مَن أرادَ اللهُ تعالى هدايتَه.

نُكْتَةُ التَّعبير بالمضارعِ:

مشيئةُ الهدايةِ الرَّبّانيَّة دائمةٌ متجدِّدة

عبَّر النَّظمُ الجليل عن المشيئة بالفعل المضارع في قوله جلَّ شأنه: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ مشيئتَه تعالى بهداية النّاس دائمةٌ مستمرَّة لا تنقطع في زمن ما.

نُكْتَةُ حذفِ المفعول:

حُذِف مفعولُ فعلِ المشيئة في قوله تعالى: ﴿يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ والتَّقدير: (مَن يشاء هديَه)[1]؛ اكتفاءً بدلالة السّياق عليه، مع ما فيه من الإيجاز.

نوعُ الواوِ ودلالتُها:

الهدى والضَّلال كلاهما من أمر الله تعالى

الواوُ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾، إمّا أن تكون استئنافيَّةً بغرضِ التَّذييل للجملة السّابقة، وهو الأظهر، وتحتمل أن تكون عاطفةً على جملة: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾[2]، وفائدةُ العطفِ بيانُ أنَّ مَن لم يَهتدِ بالقرآن؛ فإنَّه لا هدى بعدَه، وأنَّ الهدى والضَّلال من أمرِ الله تعالى، فدلالةُ العطفِ دلالةٌ تقابليَّة بين ضِدَّين مختلفَين في المنشأ والمآل.

بلاغةُ أسلوبِ الشَّرطِ:

ما أراده اللهُ تعالى فهو محقَّق يقينًا

أورد النَّظمُ الجليل قولَهُ جلَّ شأنه: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 392.
(2) محمود صافي، الجدول: 12/ 172.

هَادٍ﴾ بأسلوب الشَّرط؛ وذلك للدَّلالة على تأكيد وقوعِ الجواب عند وقوع الشَّرط، فمَن لم يُرِدِ اللّٰهُ تعالى هدايتَهُ؛ فإنَّه لن يجد هاديًا على سبيل القطع واليقين.

علَّةُ إظهارِ اسم الجلالةِ:

ذِكْرُ المولى يومئ إلى الوعيدِ والتَّهديد

وضعَ النَّظمُ الجليل اسمَ الجلالةِ الظّاهرَ موضعَ المضمر في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾، فلم يقل: (ومَن يضلِّه)؛ لتأكيد تحقُّقِ الضَّلال، فاللّٰهُ تعالى هو المَلِكُ الأعظم، فإذا أضلَّ أحدًا؛ فإنَّ ضلالَهُ سيكون راسخًا في قلبِهِ[1]، ليس له إلى خروجٍ عنه من سبيلٍ، ففيه مزيدُ تهديد ووعيد.

نوعُ الفاءِ ودلالتُها:

توكيدُ الوعيد والإيماءُ إلى طلبِ الهداية من الله وحدَه

افتتح النَّظمُ الجليل الجملةَ الاسميَّة بالفاء في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾، وهي الفاء الرّابطة لجواب الشَّرط بفعله[2]؛ وذلك لبيان أنَّ الجملة المنفيَّة مِن تمام جملة الشَّرط، وأنَّها ليست لمعنًى مستقلٍّ، فهي مؤكِّدةٌ معنى التَّهديد، مع ما فيها من الإيماءِ إلى ضرورةِ المسارعةِ في طلبِ الهدايةِ من اللّٰه تعالى.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالجملة الاسميَّةِ:

آثرَ النَّظمُ الكريم إيرادَ النَّفي بالجملة الاسميَّة في قولهِ تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾، فلم يقل: (فلا يُهدى)؛ لتأكيد النَّفي، وللدَّلالة على أنَّه ثابت لن يزول.

معنى اللّامِ في ﴿لَهُۥ﴾:

استعمل النَّظمُ الكريم حرفَ (اللّام) في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾، وهي هنا للمُلْك، أي: لا يملك هاديًا يهديه، ونفي ذلك تأكيدٌ للتَّهديد المذكور.

---

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 491.

(2) صافي، الجدول: 12/ 172.

غرضُ تقديمِ الجار والمجرور ﴿لَهُۥ﴾:

قدَّم النَّظمُ الجليل شبهَ الجملةِ من الجارِّ والمجرور على المبتدأ المؤخَّر في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾؛ وذلك لتخصيص انتفاء الهادي به، مبالغةً في انتفائه عنه، فكأنَّ الهادي انتفى عن ذلك الضّالِّ وحده، وهذا مبالغةٌ في النَّفي؛ لترشيح معنى التَّهديد وتقويتِه.

من معالم رحمةِ الضّالِّ تشديدُ التَّهديد عليه

نوعُ ﴿مِنْ﴾ ودلالتُها في ﴿مِنْ هَادٍ﴾:

استعمل النَّظمُ الجليل حرفَ ﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾؛ لتأكيدِ الكلام، وجيء به لاستغراق النَّفي، أي: إنَّه لن يجد هاديًا ما، أيًّا كان ذلك الهدى.

بلاغةُ التَّعبير بصيغةِ اسمِ الفاعلِ نكرةً:

عبَّر النَّظمُ الجليل عن الهادي المنفيِّ باسم الفاعل في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾؛ وذلك للدَّلالة على أنَّ الضّالَّ لن يجد أحدًا، له رسوخٌ في الهداية، يمكن أن يهديَه، وجاء التَّعبيرُ بصيغة التَّنكير؛ لأنَّ النَّكرة في سياق النَّفي تدلُّ على الاستغراق، أي: لا هاديَ له بأيِّ حالٍ من الأحوال.

الاغترارُ بالمُضلّين لا يُؤدّي إلى النَّجاةِ يومَ الدّين

بلاغةُ الاحتباكِ:

أورد النَّظمُ الجليل قولَهُ جلَّ شأنه: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ على طريقة الاحتباك؛ طلبًا للإيجاز والتَّفنُّن في الكلام، فقد "ذكر أوَّلًا إطلاقَ أمرِه في الهداية دليلًا على حذف مثلِه في الضَّلال، وثانيًا انسدادَ بابِ الهداية على مَن أضلَّه دليلًا على حذف مثله فيمن هداه"[1]، أي: إنَّ التَّقدير: ذلك هدى اللّه يهدي به مَن يشاء، ومن يهدِ اللّه؛ فما له مِن مُضلٍّ، وذلك إضلالُه يُضِلُّ به مَن يشاء، ومن يضللِ اللّهُ؛ فما له من هادٍ.

اختزالُ الألفاظِ مع معرفةِ معانيها من وجوه الإعجازِ البديعة

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 491.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 50 ، 822 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-81-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 50 : المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-81-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1291842 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»